أنا ودلال العقارات

رفعت سماعة الهاتف، واتصلت بصالح، وبعد المقدمات الطويلة التي لا بد منها، والسؤال عن الصحة والأحوال، قلت له:

ـ غداً كما تعرف الاجتماع السنوي لمجلس الإدارة، فما رأيك؟

ـ إذا كان عندك طموح فرشح نفسك.

ـ لا، أنا ليس عندي أي طموح، وأنا لا أستطيع أن أخدمكم في شيء، ولكن هناك من هو أولى.

قاطعني على الفور:

ـ والله، نحن نحترمه، ولا نريد أن نخسره.

شكرته وقدرت مشاعره وبكلمات ناعمة أنهيت الاتصال الهاتفي. واتصلت بإحسان، وبعد لف ودوران، أجاب:

ـ اعتدنا ألا نناقشه في أمر ترشحيه.

واتصلت بسمير، وكنت أفكر في ترشيحه، فهو الأكثر نفعاً في المجلس، فأجاب:

ـ أنت تعرف، أنا أصغركم، ولم يمض سوى أربع سنوات على انضمامي إلى المجلس، وإذا كنت ترغب أنت في ترشيح نفسك فأنا على استعداد لدعمك.

واتصلت بسناء، فقالت:

ـ لن نخسر شيئاً إذا بقي رئيساً لمجلس الإدارة، وهو كما تعرف مريض ونخشى أن يصاب بانتكاسة، إذا طرحنا موضوع الترشيحات، فليبق هو رئيساً لمجلس الإدارة إلى أن يوافيه الأجل.

بمن سأتصل بعد ذلك، لم يبق أحد، هل أتصل به؟

رفعت سماعة الهاتف، فأخذ يشكو لي وأنا أتصور كرشه الممتدة إلى أمام واللغد الرجراج تحت ذقنه:

ـ ارتفاع الضغط والربو والديسك والسكري والروماتيزم، آلاف العلل اجتمعت على بدني، وغداً الاجتماع السنوي لمجلس الإدارة، وأنا مصر على دعوتكم، ما رأيك في ترشيح نفسك؟! خذ هذه الأمانة عني وأرحني، الثمانون أحوجت سمعي إلى ترجمان، كما قال الشاعر، وأنت أيضاً أستاذ وشاعر وقاص، وتجيد الحديث أكثر مني، هل أحمِّلها لسمير بائع الدهان؟ هل تريد أن يصبغ الدنيا كلها باللون الذي يريده هو؟! أم أحملها لإحسان؟ أنا أعرف أنه يجري وراء مصلحته الخاصة، صدقني إذا أصبح

رئيساً لمجلس الإدارة فإن أول ما سيقترحه هو تغيير أسلاك الكهرباء في العالم كله، لأنه تاجر أسلاك كهرباء، هل أحملها لصالح؟! لا أصلحه الله، صدقني إذا أصبح رئيس مجلس إدارة فإنه سيقترح تغيير البلاط في أرصفة العالم كله، لأنه مبلط، وعنده ورشة عمال بلاط عاطلة عن العمل، هل أحمِّلها لسناء؟ ماذا ستفعل؟ لتملأ الدنيا برائحة البصل؟ لا أعرف لماذا تكثر من استهلاك البصل؟ أنتم جميعاً أولادي، أنا في الحقيقة تخليت عن أولادي لأبقى معكم، أنا ليس لي أي مصلحة في الأمر كله، أنا عندما كنت مديراً عاماً للمصارف كلها رشحوني معاوناً لمدير البنك الدولي، فاعتذرت، أنا ليس لديَّ أي طموح من أي نوع، راتبي التقاعدي يكفيني بقية حياتي، على كل حال انتخبوا من تشاؤون، لكم الحرية المطلقة، أنا تعبت، سأقدم في أول الاجتماع استقالتي، وأدعوكم لتشكيل مجلس إدارة جديد، لذلك أنا مصر على دعوتكم غداً إلى اجتماع مجلس الإدارة، وأنا أدعوك بإلحاح لترشح نفسك، اتصل بالأعضاء، ونسِّق معهم كما تشاء.

خرجت في الصباح إلى عملي.

للمرة الألف أتعثر على الدرجة الرابعة في مدخل البناء، مع أنني في كل مرة أقول لنفسي: هذه المرة لن أتعثر، عشر

سنوات مرت وأنا في هذا البناء ولم نتمكن من إصلاح هذه الدرجة، هي في مدخل البناء، وليست أمام باب أحد الجيران، لذلك فلا أحد يفكر في إصلاحها.

رائحة العفونة تخنقني، الجدار يرشح ماء، منذ أن سكنت في البناء والجدار يرشح ماء، عشر سنوات والجدار يرشح ماء، ولا أحد يعرف من أين، ولا أحد يفكر في الإصلاح.

ولدي منير على الرصيف ينتظر سيارة الروضة، أسأله:

- أين أحمد ابن الجيران؟

- يقف على الرصيف هناك، قبلي بمئة متر.

- ولماذا لا يقف معك؟

- لا يكلمني، ولا يريد أن يقعد في سيارة الروضة إلى جواري، يريد أن يركب في السيارة قبلي، ليحتل مقعده إلى جوار النافذة.

- قلت لك بادر أنت إلى السلام عليه، صافحه، اقعد إلى جواره.

- والله يا أبي فعلت، ولكن لا فائدة.

ألتفت، فأرى إلى جواره شريطاً ينزل من عمود كهربائي إلى الأرض، أقول له:

ـ ابتعد عن هذا الشريط، ولا تلمسه.

أتركه وأمضي إلى محل شريف، أمد إليه يدي بعشرين ليرة وأنا أقول له:

ـ هات علبة دوائي اليومي.

يناولني علبة تبغي المعهودة، وهو يقول:

ـ سمعت أن لديكم اليوم اجتماع مجلس إدارة ؟

ـ نعم.

ـ أظن أنكم مثل كل سنة، لن تنتخبوا غيره.

ـ نعم.

ـ تلفت حواليك، انظر، كل الناس تطورت.

وأرد:

ـ إلا نحن.

أشعل سيكارتي وأمضي على الرصيف.

يلتقيني أبو هلال دلال العقارات، أستوقفه سائلاً:

ـ هل لديك دار متواضعة في عمارة جديدة هادئة ونظيفة؟

يطرق قليلاً ثم يجيب:

ـ عندي كل شيء، ولكن هل تريد الشراء نقداً أو المبادلة مع دارك؟

ـ بل المبادلة مع داري.

ـ دارك لا تساوي شيئاً ولا يمكنك أن تبادل بها، لأن بناءكم قديم مهترئ، عمره خمسون عاماً، وطوال هذه المدة لم تدخلوا عليه أي تحسين، بعض الحجارة في واجهة البناء متداعية، والمدخل يرشح ماء، والعمود الجنوبي في البناء فيه شقوق، والشرفة الغربية تحتاج إلى دعم.

ـ أنت دللتني على البناء نفسه قبل عشر سنوات ونصحت لي بالشراء.

ـ لم يكن البناء قبل عشر سنوات على مثل هذه الحال، وأنت والجيران تتحملون المسؤولية، أنتم ستة جيران فقط في بناء جميل، وهادئ، ولكن لم تصلحوا أي شيء طوال خمسين سنة في البناء.

وأرد:

ـ ليس ذنبنا، هو ذنب العجوز مختار بك.

يضحك وهو يقول:

ـ وأنتم إلى اليوم لا تتخلون عنه، في كل سنة يدعوكم إلى مأدبة عشاء في داره، وأظن اليوم مساء أنتم مدعوون إلى مائدته.

ـ نعم

ـ نعم، كل شيء نعم، أنا أعرف، وستنتخبونه من غير شك رئيساً لمجلس إدارة العمارة.

ـ المشكلة أن لديه طموحاً لكي يموت وهو رئيس مجلس إدارة.

ـ إذن، ستبقى طول عمرك في العمارة نفسها، ولا يمكنك المبادلة على شقتك، بل لن يمكنك بيعها، حتى بعد وفاته، إذ لا أحد يرغب في مثل هذا البناء.

أسأله:

ـ ما الحل؟

يضحك، يضحك كثيراً، ثم يقول:

ـ أنا عندي ألف حل، لا لشقتك فقط، بل للعمارة كلها، وإذا أردت للشارع كله، ولكن الغريب في الأمر أن تسألني أنا عن حل، أنا مجرد دلال عقارات، أنا سمسار، أنا وسيط بين البائع والمشتري، كان المتوقع أن يكون الحل عندك، أنت الأستاذ، أنت معلم مدرسة ومثقف، الحل يجب أن يكون عندك لا عندي أنا.